

واقع مطحون وإعلام مزيف

شهد المجتمع الفلسطيني ولا يزال يشهد مجموعة من التحولات الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، نتيجة للظروف التي يمر بها، وأدت المرأة الفلسطينية دوراً هاماً مع الرجل شريكها في جميع المناحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الأمنية، ولا نغالي بالقول أن المرأة الفلسطينية كان لها وما زال دور هام في تأجيج المشاعر الوطنية والحفاظ على الهوية وحق العودة فكان لها دور فدائي واضح وجلي، إلى جانب دورها التنموي والنهضوي من خلال تعزيز مفاهيم التعليم والتنشئة السليمة والحفاظ على المنظومة الفكرية العربية والإسلامية.

ولقد واصلت المرأة الفلسطينية مقاومة كل أشكال التهويد والتغريب منذ النكبة حتى يومنا هذا وعقب عام ١٩٩٤، حين أعلن عن تأسيس السلطة الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو، بدأت معالم تحول في وضعية المرأة الفلسطينية، ومنذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظة تم إنشاء مؤسسات ومنظمات أهلية ومدنية وصل عددها إلى أكثر من ٢٠٠٠ منظمة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ١٠% منها منظمات ترتبط شكلياً أو عملياً بقضايا المرأة وذلك وفق شبكة المنظمات الأهلية

ودفعت المرأة الفلسطينية ضريبة كبيرة من حياتها من أجل انتزاع ولو جزء بسيط من حقوقها التي يتغني بها الجميع من " المسؤولين، المؤسسات الأهلية والحكومية " .

وفي المقابل لعب الإعلام دوراً مهماً في إيصال صوت المرأة الفلسطينية للعالم الخارجي واللافت للانتباه أن وسائل الإعلام تطورت بشكل سريع من خلال تعدد الوسائل الاتصالية والإعلامية، أصبحت هذه الوسائل بمثابة المؤسسات التعليمية للتعليم والتربية بشكل غير نظامي، وتمارس قدراً كبيراً من التأثير على الاتجاهات والسلوكيات .

ولاشك أن المرأة ارتبطت بهذه الوسائل ارتباطاً وثيقاً لما لهذه الوسائل من قدرة على إيصال رسائلها الفكرية .
و تعتبر قضية المرأة والاعلام من أكثر القضايا التي كانت ومازالت مثار بحث واهتمام ، وغالبا ما وقع السجال وبودلت الاتهامات حول المسؤولية في هذا التتميط الواضح للمرأة وصورتها و حياتها وأهتماماتها ورسالتها .

ولم ينجح الاعلام في نقل صورة المرأة الفلسطينية كما يجب عقب الحرب الاسرائيلية الاخيرة على قطاع غزة التي انطلقت ١٢/٢٧ اذ ركز على صورة المرأة الصامدة القوية المتحدية لواقعها وذلك من خلال تناول صورة المرأة الحديدية ، حتى بات يشكل خطورة على واقع المرأة وبات الاعلام سيف مسلط على واقع المرأة الغزية ، فما أن قامت الحرب الإسرائيلية حتى بدأ الإعلام في البحث عن قصة هنا وقصة هناك وخاصة قصص النساء من الأمهات والأطفال لأنهن الأكثر تأثيراً على المشاهدين والقراء ..و كان حلقة وصل للنقل للخارج إلا انه لم يقيم بالدور المنوط به على أكمل وجه وذلك من خلال تصويره لصمود المرأة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال وأنها المرأة التي تخلو من المشاعر والأحاسيس وكأنها تعيش في كوكب آخر وان التضحية بأفراد أسرتها لا يتجاوز جرح في أصبع اليد .

إعلام ربما يصدق في نقل صورة النساء وهن يبكين أحبائهن ولكنه لم ينقل الصورة الأخرى من الألم ليتترك نصف الكأس الفارغ، و دوره تمثل فقط في نقل اللحظة الاولى من الصدمة لكنه لم يبحث عما سيحدث عقب الصدمة، لم يتناول اليوم واقعها وهي تلملم جراحها ليثبت ان علاقته بالمرأة فقط لحظة وقوع الحدث اما تداعياته والاثار الناجمة عنه فهي لم تكن يوماً ذات اهمية ولن تحقق سبق لديه .

في هذه الورقة نستعرض واقع المرأة الفلسطينية والصورة التي ينقلها الإعلام للوقوف على السلبيات التي تحول دون التعاطي مع تلك المرأة التي ضحت ومازالت وتقديم البرامج التي تهدف للنهوض بواقعها والأخذ بيدها إلى طريق يساهم في تعزيز مكانتها دون انتقاص من حقوقها والخروج بجملة من التوصيات التي من شأنها تبيان الحقيقة.

الإعلام ورغم أهميته فإنه ما زال يكرس الصورة النمطية للمرأة الفلسطينية، ويتعامل معها على أنها إنسان خال من الإحساس والمشاعر و بات يجهل متطلباتها واحتياجاتها ، حيث أكدت الدراسات الإعلامية التي أجريت على صورة المرأة الفلسطينية انه لم يعد هناك اهتمام يذكر بقضايا المرأة الأساسية مثل التعليم والتنمية ، وإنما بات يركز على النساء الباكيات من ناحية والصامدات في وجه كل الصعوبات التي تواجههن من ناحية أخرى دون مراعاة لخصوصيتها.

و تعاني المرأة الفلسطينية اليوم أوضاع سياسية واقتصادية و اجتماعية ونفسية متدهورة وواقع مطحون ومتهرئ، ورغم ذلك فإن الإعلام يزيد من همومها هموما حيث يتغني بواقع لا يمت له بصلة، فالمرأة تعاني واقع مريع جراء الانتهاكات المتواصلة بحقها سواء كانت من قبل الاحتلال الإسرائيلي ، والعادات والتقاليد المجتمعية التي حالت ومازالت دون تقدم المرأة واقع تتسارع فيها الآلام للمرأة لاسيما عقب الحرب الإسرائيلية لان معظم ضحاياها من النساء والأطفال بالدرجة الأولى.

إعلام يركز على السبق الصحفي وانجاز خاطف دون ان يبحث عن خبايا الامور، وإظهارها أنها امرأة صمود وتحدي وما أن تغيب عدسة الكاميرا، يتلاشي الاهتمام بقضاياهن

والسؤال .. كيف للإعلام ان يزيّف الحقائق وما تؤكد الدراسات بأن الاحتلال هو أقصى أنواع العنف حيث تغلغل في كافة مناحي الحياة وتضمن انتهاكات للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلى جانب الحقوق المدنية والسياسية، وأن "عدم المساواة عموماً وعدم المساواة في النوع الاجتماعي على وجه الخصوص يصبح أكثر حدة في ظل أوضاع النزاع والأزمات".

كما ان العنف في البيئة الخارجية يزيد من درجة حدوث الإيذاء في المنزل، حيث يعتبر تعرض الأطفال والأهالي إلى العنف السياسي من العوامل القوية المحددة للعنف في الأسرة و تؤدي كل العوامل المرتبطة بالاحتلال الى زيادة الفقر والبطالة وهدم المنازل إلى إعطاء شرعية للعنف المنزلي وتزيد من اللجوء إليه كوسيلة لحل النزاعات.

كما أن صحة المرأة النفسية تأثرت بشكل سلبي نتيجة الحرب، فهناك عدد كبير من النساء تحملن كل الأعباء الأسرية نتيجة استشهاد الزوج أو أسره من قبل قوات الاحتلال ومع ازدياد تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وازدادت الأعباء النفسية على المرأة وتتعاظم هذه الأعباء .

وتتحمل النساء الفلسطينيات هذه الضغوط دون توفر الكثير من الموارد والدعم ويلاحظ الارتفاع في معدل حدوث الاضطرابات النفسية لدى النساء الفلسطينيات وأطفالهن. فقد أشار مسح أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني إلى أن أكثر من نصف النساء المبحوثات قد أفدن بالتعرض لنوبات بكاء وأن ثلثهن صرحن بأنهن يفكرون "أكثر مما ينبغي" بالموت، فيما أشارت ٤٦% إلى مشاعر اليأس والإحباط و ٢٩% إلى الإحساس بالغضب ومعاناة الانهيار العصبي

وقد أثبتت الدراسات أن البطالة والفقر الناجمان عن الاحتلال يسفران عن حدوث الطلاق ووقوع حوادث العنف المنزلي مما يزيد الضغوط النفسية على المرأة الفلسطينية.

واليوم تطل علينا ذكرى الثامن من آذار هذا العام، اليوم العالمي للمرأة.. والمرأة هنا تعيش أوضاعاً مأساوية، في يوم المرأة من حقنا أن نتساءل، أين هي المؤسسات صاحبة الشعارات -الرنانة- من المرأة التي تكبدت الكثير جراء الاحتلال وفي هذا اليوم من حق الجميع أن يسأل أين هذه المؤسسات من وضع أجندة نسوية فاعلة قادرة على تحصين النساء من المخاطر التي تحرق بهن؟! وأين هي تلك المؤسسات صاحبة المشاريع ذات الميزانية العالية..؟! ولماذا تبقى المشاريع واحدة في كل المؤسسات دون استثناء حتى تصبح " مودياً " يتغني بها الصغير قبل الكبير؟.

في يوم المرأة أين هي تلك المؤسسات من القضايا المصيرية والجهرية للمرأة التي من شأنها بالفعل تدعيمها وتعزيز صمودها في وجه الاحتلال الإسرائيلي؟.

الأرقام خير دليل على الواقع " المهترئ" الذي تعيشه المرأة الفلسطينية ، الكل يشخص والكل يبتعد عن الحلول ، التي من شأنها أن تخفف من ذلك الواقع، لاسيما و أن ٩,١% من الفلسطينيات اللواتي أعمارهن ١٥ سنة فأكثر هن أميات ، كما أن مشاركتهن في القوى العاملة منخفضة ولا تتجاوز ١٥,٢%، أما بالنسبة للبطالة ، فقد بلغت ٢٣,٨% خلال العام ٢٠٠٨، ٦١,٢% من الأسر التي ترأسها إناث فقيرة و ٣٣٠ شهيدة خلال السنوات الثمانية الماضية، ٦٠ أسيرة نهاية العام ٢٠٠٨

السؤال الذي يبقى يراوح مكانه ماذا سيحل بتلك المؤسسات إذا ما وقف التمويل ذات يوم؟ هو آذار وحده الذي يكشف الحقيقة يحل هذا العام لا لأن يحتفل به كعيد للنساء للتكريم هنا .. وإقامة الحفلات هناك .. وإنما يحل ليكشف المستور ويضع يده على مكامن الخلل في معالجة واقع المرأة الفلسطينية . ولماذا تغييب الرقابة الحقيقية عن نقل الصورة المعبرة عن واقع المرأة الفلسطينية وتبيان مدى الصعوبات والالام التي يحيط بها، لماذا لا نعترف بان المرأة الفلسطينية باتت اليوم بامس الحاجة لتوحيد الجهود وتقديم برامج اكثر قربا منها بدلا من تلك البرامج التي لا تثنى ولا تغني من جوع ولماذا يكون ارتباطنا بها لحظة وينتهي بانتهاء الحدث. اي صمود ذلك الذي نتحدث عنه في ظل واقع مطحون واعلان مزيف